وحرض المؤمنين[1]

الشيخ الشهيد
عبد الله بن محمد الرشود
رحمه الله ورضي عنه... آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم وأتباعهم إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيرا.

أمّا بعد:

إلى أخي المسلم...
إلى أخي الموحد الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، في شرق الأرض وغربها...
إلى من أكرمه الله، فأخرجه من ظلمات الجاهلية إلى نور التوحيد والإيمان...
إلى من أكرمه الله، فجعله من خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...
إلى من أكرمه الله، فجعله من أمة خير البرية على الإطلاق نبينا وسيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين...

وصدق الشاعر يوم أن قال:

ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

فلك اللهم الحمد حمدا، ولك اللهم الشكر شكرا...

---

[1]) أصل هذه المادة شريط مصور.

اللهم كما امتننت علينا بالإسلام ابتداءً، فامتن علينا بالثبات والجهاد والشهادة ختاماً يا أرحم الراحمين.

أخي المسلم:

إن الله جل وعلا بواسع رحمته، وعظيم فضله، إختصك من بين سائر الخليقة، فحمّلك أمانة عظيمة، أشفقت من حملها السماوات والأرض، كما قال الله عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.

إن الله عز وجل قد حملك أمانة التوحيد، ومعرفة رب العبيد، المعرفة الحقيقية، المعرفة العملية الواقعية، التي تخرج من طوق الادعاء والانتماء إلى واقع العمل والحقيقة والبذل والتضحية والفداء.

إنه لم يزل قطاع عريض من خير أمة أخرجت للناس لم يعلموا بعد عظيم شأن كلمة "لا إله إلا الله"، ويكفيهم علماً وإدراكاً لعظيم مسؤولية حمل هذه الكلمة وهذه الأمانة؛ الحديثُ المشهور أن موسى عليه السلام قال: (يا رب علمني ذكرا أدعوك وأذكرك به)، قال الله جل وعلا له: (يا موسى! قل: "لا إله إلا الله")، قال موسى: (كل عبادك يقولون هذا!)، قال أحكم الحاكمين ورب العالمين الذي يعلم ولا نعلم، ماذا قال جل وعلا؟ قال الله جل وعلا لموسى فيما أوحاه إليه: (يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن وضعن في كفة، ووضعت "لا إله إلا الله" في كفة لمالت بهن "لا إله إلا الله").

الله أكبر...

ولكن أيها الأحباب... أيها المسلمون... أيها الموحدون... أيها الصادقون... يا من شرفكم الله بالانتماء لهذه الأمة؛

لعلنا وإياكم في هذا اللقاء المبارك نبينُ بعض حقوق هذه الكلمة، التي يجب أن نخدمها، ونقدم لها الغالي والنفيس، لترتفع خفاقة في شرق الأرض وغربها، ولو كره المجرمون، ولو كره المشركون.

إنها ليست كلمة رخيصة حتى ننصرها بمجرد الكلام والادعاء والانتماء، فكل يتكلم، وكلٌ يدعي، وكلٌ ينتمي، وكلٌ يدعي وصلاً لليلى.

ولكن الله جل وعلا الحكيم العليم الذي أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع، هو الذي بين لنا بأوضح بيان، وتفصيل عظيم في الفرقان - القرآن العظيم - مبيناً أن لحمل "لا إله إلا الله" ضرائب تنوء بحملها الجبال الراسيات، لكن المؤمن العارف بالله الصادق الموقن بمعنى "لا إله إلا الله"، وأنه لا قادر أعظم من الله، وأنه لا مقدم ولا مؤخر، ولا معطي ولا مانع، ولا معز ولا مذل إلا الله، ليخرج بحقيقة لا معبود بحق إلا الله... هو النافع، هو الضار، هو الذي ينصر من يشاء، ويهزم من يشاء، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، كلَّ يوم هو في شأن؛ يعز ذليلاً، ويذل عزيزاً، ويقدم متأخراً، ويؤخر متقدماً... إنه الرب الإله العظيم، الذي استوى على العرش، الذي يعلم دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصفاة الملساء، لا مخابرات أمريكا ولا حلفائها وعملائها البائسين، الذين أعلنوا خسرانهم وإفلاسهم يومَ أن زينت لهم شياطينهم مطاردة أولياء الله، إطفاء نور الله، {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وإِنِّي جَارٌ لَكُمْ}.

لمّا نبقى في طوق ما يسمى بـ "الحرب الباردة" السامجة المضللة الملبسة على أفكار السذج الذين ما تشبعوا بعظيم بيان الله في القرآن، فيصدق عليهم إبليس ظنه، لكن إذا حُمل السيف، وتراءت الفئتان، وتقابل الجيشان، وأقبلت كتائب الرحمن، وانطلقت مواكب النور، وتفجرت أنوار الإيمان في قلوب الأولياء؛ انهار الشيطان، وأولياء الشيطان. ما دام الجهاد ادعاءً وكلاماً ودعوة زعموا وكذبوا، فكلٌ يدعي، كلٌ يفتري، كلٌ يقدم باللسان كلاماً، وعند الإقدام لا ترى إلا إحجاماً.

أنظر بيان العليم الحكيم بمواطن ضعف العباد وقوتهم، فما هيلمان الشيطان، وما إعلام الكفر، وأرباب الخسران، إلاّ أشبه ما يكون ببالونة جوفاء تخطف أبصار من لم ينير الله بصيرته، ولكن أنّى لها أن تقوم أمام الحق إلا وتنفجر.

نعود إلى قول الباري جلَّ وعلا؛ {وإِذْ زَيَّنَ لَهَمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهَم}...

قبل أن يبدأ القتال، قبل أن تبدأ المواجهة، قبل أن يحسم الخلاف بالحق، الذي يفرق بين الحق والباطل، ويميز الله به بين الطاغوت وجنوده وأوليائه، وبين الدين الحق وجنوده وأولياءه، {الذَينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله والذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلونَ فِي سَبِيلِ الطَاغُوتِ}، يعني لا يقاتل في سبيل الطاغوت أيّا كان سَوَاءً كان طاغوت قريش، أو طاغوت فرعون، أو طاغوت هامان، أو طاغوت أمريكا، أو غيرها من الطواغيت، ما يقاتل في صفهم إلاّ كافر محض بنص القرآن {والذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَاغُوتِ}، وانظر كيف يطمئن الله جل وعلا أولياءَهَ أن لا يعبئوا بالطاغوت، ولو بلغت قوته - وأنى له - عنان السماء، ولو ملأ البر والبحر جنوداً وقوات، فإن الأمر لله جميعاً، إن القوة لله جميعاً، إن المكر لله جميعاً، فيقول جل وعلا: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}، الله أكبر، والشيطان ضعيف اليوم كما هو ضعيف بالأمس، ولا يمكن أن يولد شيطان جديد قوي، سواءً من شياطين الإنس أو الجن، لا قوي أمام الله عز وجل، ولا ثبات لباطل أمام نور الحق، ولذلك تجد في القرآن الكريم من الآيات المحكمات البينات التي لا تقبل جدلاً ولا خلافاً هي فيما يتعلق بالخصومة مع الطاغوت وأوليائه، وقتال الطاغوت وأوليائه، بل بين الله جل وعلا في القرآن أن آيات الجهاد محكمة، كي لا يأتي المُخَذِّلون المَخْذُلون، الموبوءون فكرياً، المريضون عقدياً، فيعقبوا على كلام الله بزعوم التشابه في بعض معاني القرآن {وَيَقُولُ الذِينَ آمَنُوا لَولَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ}.

ما قال الجهاد في هذا الموطن، كي لا يأتي - كما قلنا - المأفونون، فيقولون الجهاد له معنى واسع! ويعنون بذلك الفت في عضد بعض أحبابنا وإخواننا الصادقين في طلب هذا الطريق، لكن لبَّس عليهم أحبار السوء - عاملهم الله بما يستحقون - فيأبى الله إلاّ أن يصرح من باب الإحكام بلفظة القتال {وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيهِ مِنَ الموتِ}، فـ "لا إله إلا الله"، ما أحكم الله، الذي لم يدع لمبطل مجالاً لادعاء ولا تلبيس.

ثم يبين جل وعلا أن الخصومة بين الحق والباطل هي أصل من أصول التكليف، وأنه لا يمكن أن يتميز أهل الجنة من أهل النار، ولا أهل الحق من أهل الباطل، إلاّ بالابتلاء حتماً، لا كما يزعم المهزومون المعارضون لكلام الله الجلي من أدعياء العلم والدعوة اليوم، ممن يقول كذباً

وافتراءً ونسخاً بعقله للقرآن: لا يلزم من هذا الطريق وجود الابتلاء، وكذب على الله وافترى، أما سمع قول الله جل وعلا في الآيات المحكمات بعبارات بينات جليات... بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم {أحسب الناس}.

كل الناس... بأنبيائهم... بأوليائهم... بعبادهم... بأحبارهم... برهبانهم... بعالمهم... بجاهلهم، كلهم داخلون تحت هذا الخبر الذي يخبر الله أنه سيقع بجميع الناس، {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}، لكن ما الفتنة يا أخي؟ الفتنة هي؛ التقوقع على الملذات والهروب عن مواطن التكليف القاسية، ربنا جل وعلا هو الحكيم العليم الذي يبين ما هي الفتنة {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

انظر؛ {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}، بعضهم يأتي ويدعي أنه وصي على الدعوة وأبناء الدعوة وأبناء الجيل، فيقول: لا تفتاتون على الأمة، وهو يفتات على كلام الله! وهو يفتات على دين الله، وهو يتقدم بين يديَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يحرف بأسلوب ملتوي ليظهر للناس أنه من الكتاب وليس من الكتاب... {يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ}، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ولذلك يبين جل وعلا أن من صفات المنافقين أنهم يقولون ويكذبون، والذي يُبين كذبهم هي الوقائع والأحداث، لا سيما في مواطن المواجهة والجبهات والقتال.

وفي نفس السورة؛ {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِالله ِ}، انظر مقياس بعض الذين يفتنون ولم يبتلى بعشر معشار ما بليَ به أبناء الرعيل الأول، حبال التوحيد، وأسود الدين، إنما ربما سجن، قد يكون فيه إلى حدٍ ما منعماً أو مترفاً - أعني بعض الناس - أمَّا رجالات الجهاد أهل الملة والتوحيد، فكلٌ يعلم ما يعانون تحت وطأة الطاغوت وليس هذا مجال الاستطراد في هذا الباب، لكن بعض الذين إذا فتن فتنة يسيرة انظر كيف ينقلب على عقبيه: {ومِنَ النَّاسِ مِنَ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ}، ما قتل وإنما أوذي في الله {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللهِ}، هذا المقياس الحقيقي للإيمان،

ثم يبدأ يغير معاني الحق إلى تزييف وتلبيس والتواء باطل، للأسف أنه ينطلي أحياناً على من بعض فيهم صدق - هدانا الله وجميع ضال المسلمين.

وليس هذا بغريب في الواقع ولا هذا اليوم، فهذه طبيعة في بعض النفوس البشرية، يكون فيها ربما من البساطة في التلقي، وربما السذاجة في تحرير الأقوال، وعدم التفريق بين الحق والباطل مما يجعل كثيراً من الناس تنطلي عليه أقوال المنافقين، وهو يظن أنها حق، وقد قال الله عن خير من أبناء الجيل كلهم... عن بعض من شرفه الله بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم: {وفِيكُم سَمَّاعُونَ لَهُم}، ولذلك تميّز المنافقون بليّ الألسنة ليضلون المسلمين، قال الله عز وجل: {وإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَولِهِم كَأَنهَّمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيهِم هُمُ العَدُوَ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُم الله أَنَّى يُؤفَكُون}.

ولذلك أخي إذا استغنيت عن التماس الهدى من كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام الرجال - وإن خالفت الحق - مدعياً أنهم أعلم منك بالحق في الجملة، فإنك إن فتحت هذا الباب في منهجك وطريقك فلن تقف إلا شفا جرف هار، وقانا الله وإياك من الزلل والضلال.

<u>واسمع أخي الكريم... أخي المسلم... أخي المعظم لكلام الله جل وعلا...</u>

تأمل قول الباري تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}.

ربما يأتي أمر قد لا يكون فتحاً بادئ ذي بدءٍ في نظر الناظر لأول وهلة، ولكن لله عز وجل في عباده شؤون، {أَوْ أَمْرٍ مِّن عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِم نَادِمِين}... إلى أن قال جل وعلا مبيناً أنه إذا تولى بعض الناس من أدعياء الإيمان والإسلام - تولوا اليهود والنصارى - واستمرؤوا هذا التولي، وصاغوه في قوالب تبرر فجورهم وطغيانهم، وتقريبهم للأعداء، حين ذاك قد وعد الله أن سيبعث أولياء له أخفياء غرباء يقيم الله بهم الملة العوجاء،

ويحدد الله بهم الدين، ولم يذكر من صفاتهم تفاصيل وفروع كثيرة؛ كي لا يلتبس الأمر على عباد الله جل وعلا، فقال الحكيم العليم: {يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنَوا مَنْ يَرْتدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوفَ يَأتِي اللهِ بِقوم...}، ما صفاتهم الرئيسية؟ {يُحِبُّهُم ويُحِبونَه أذلةٍ عَلَى المُؤمِنينَ أعِزّةٍ عَلَى الكافِرينَ}، أنظر المعاني الربانية، ما ثمرة هذا الحب لله؟ وما ثمرة الذلة للمؤمن؟ والعزة على الكافر؟ هل الثمرة مجرد لوك اللسان من غير حجة ولا بيان؟! إنما بالادعاء والكذب والبهتان!

كلاَّ... إن الثمرة عملية واقعية تجسيدية تطبيقية تميز الصادق من المنافق، {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} فإذا جاهد المجاهد، وإذا انبرى أسود الله، ونفضوا غبار الذل والخوف والجبن والخور، إذا زأروا في غابة الظلم ليعيدون الحق إلى نصابه، يا تُرى سيكون في المجتمع كالمعتاد سلفاً وخلفاً، سواءً في تاريخ بني إسرائيل، أو في تاريخ هذه الأمة الماضي، سيكون في المجتمع من قد يكون أعلى منزلة من هؤلاء القوم الأخفياء المغمورين الذين لا يملكون إلاَّ الحب في الله، والبغض في الله... الله أكبر... وكفى به! سيكون في المجتمع ذووا مناصب... ذووا هيئات... ذووا أقدار... حملة علم... ذووا وجاهات... ذووا كلام ولسان وبلاغة وفصاحة وبيان... أنواع وطبقات، هؤلاء لما يرون أشباه ابن مسعود، وأشباه عمار، وأشباه سلمان، وصهيب وغيرهم، سوف ينبعث نتن النفاق من القلوب ليخرج على قالب الألسن، فيبدؤون يعرضون بالمؤمنين لأنهم لا يستطيعون أمام الناس أن يطعنوا في القرآن! لأن الله جل وعلا قد حفظ كتابه من تحريف المحرفين، ولكن يعرضون بالمؤمنين همزاً ولمزاً وانتقاصاً وتشويهاً وتعييراً من الألفاظ النابية المنفرة، مما هي عادة المتكبرين من السابقين واللاحقين، فإذا أكرم الله ثلة من المؤمنين الأخفياء الأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين، فرأى المنافقون ألا طاقة لهم أن يروا أولياء لله تصدروا الجبهات، وتقدموا الصفوف في الحروب والمواجهات، ستجد اللوم، واللوم له أنواع وله أساليب وله قوالب بعضها قد يخرج للأسف بصيغة شرعية تلصق بالشرع للأسف افتراءً واستهانةً بعظمة الله، كأن الله تعالى علواً كبيراً لا يعلم ما في قلوبهم، جرأة على الله جل وعلا، فيلومون أولياء الله - جنود أمة محمد صلى الله عليه وسلم –

لكن هذا اللوم والطعن والشتم والسب والجرح، وغير ذلك، هل يؤثر عليك أخي المجاهد... أخي الصادق...

أخي الباذل روحه فداءً لدين الله... هل سيبلغ بك الضعف، وسيبلغ بك الجهل إلى أن تنطلي عليك، أو أن تؤثر عليك لومة أولئك اللائمين بعد أن بصرك الله بنور الطريق؟ إنه من صدق حب الله جل وعلا والله ما تؤثر عليه، كما قال جل وعلا في نفس الآية {لَا يَخَافُونَ لَومَةَ لَائِم}، هذه المعاني العظيمة إذا قذفها الله في قلب العبد الضعيف، وقد لامه الخلق، من شياطين الإنس والجن- أعني بإعلامهم بأبواقهم بعملائهم بخيلهم برجلهم - كلٌ يطعن ويلوم، ثم يقف المجاهد الأسد صامداً شامخاً معتزاً بالله، بل والله إن من صدق الإيمان، وإن من استقراره في سويداء قلب المجاهد أن يزيد إيمانه كلما احتدم الظلام، وكلما حلكت الظروف، إما سمعت قول الله جل وعلا: {ولمَا رَأى المؤْمِنُونَ الأحْزابِ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُه، وصَدَقَ اللهُ ورَسُوله ومَا زَادَهُم إِلاَّ إيمَاناً وتَسْلِيماً}.

فالبلاء وتكالب الأعداء، لا يزيد المؤمن إلا يقيناً وثباتاً وشموخاً وصموداً، وإنه بعد البلاء خيرٌ منه قبل البلاء، إيماناً وصبراً ويقيناً وثباتاً وإصراراً وإرخاصاً للحياة وملذاتها، وشوقاً إلى ما عند الله جل وعلا من جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، رزقني الله ذلك وإياكم بواسع رحمته، وعظيم فضله.

وفي موطن آخر يبين جل وعلا أن احتدام البلاء يزيد في ثبات المؤمن وإصراره: {الذِينَ قَالَ لهَم النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُم}.

انظر الذين اليوم يقولون إن أمريكا وحلفاءها قد جمعوا للأمة الإسلامية، وجمعوا لنا في الجزيرة وفي العراق وفي غيرها، أنى لنا بمواجهتهم، ويحثونك على خشيتهم! لكن ربما يكون عند بعض المتأخرين فقه شيطاني، ما يقولون فاخشوهم، يقولون من باب مداراة العدو! خبث ما أدركه حتى منافقو العصر الأول، ما يقولون فاخشوهم لأنهم علموا أنها مكشوفة في القرآن، فيقلبونها في قالب آخر، ويسمونها بغير اسمها، فيقولون: لا بد نداري العدو! لسنا على مستوى العدو في العدد والعدة، المسألة مسألة توقيت ليس هذا وقت الجهاد! فإذا قلت متى وقت الجهاد؟ قال: ما أدري!

حدد لنا وقتاً تقترح فيه أن نبدأ فيه بقتال العدو، فتجد أنه صفر اليدين كاذب الادعاء، إنما يخذل ويريد أن يقول فاخشوهم لكن عبَّر بأسلوب آخر...

ما سمع المخذول المرذول المنطفئ من قلبه نور الوحي، ما سمع قول الله جل وعلا في قصة طالوت وأصحاب طالوت: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}.

يقول بعض المفسرين كالسدي وغيره: كان عدد جيش طالوت الذين أرادوا القتال قبل أن يوجبه الله عليهم يناهزون الثمانين ألفاً، ثم بقدر الله وقضائه وحكمته نُصب على طريق الجهاد والعز معالم ابتلاء، وفرص للمخذولين أن يتراجعوا قبل أن يصلون خط النار، فتساقط المدعون، والكذابون والمفترون فتنةً إثر فتنة، حتى تجاوزوا النهر، فلم يجاوز النهر مع طالوت من ثمانين ألفاً إلا ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً!

أنظر سنة الله في السابقين وفي اللاحقين، ولما جاوزوا أيضاً، هل أيضاً كلهم كانوا على مستوى الصمود المطلق؟ أيضاً ما زال في قلوب بعضهم، من الصادقين المؤمنين الذين نسفوا ملذات الدنيا وراءهم، وتحملوا مشاق اللوم والطعن السب والشتم وجاوزوا النهر، أيضاً لما جاوزوا قال حملتهم أو كثير منهم لما رأوا قوات الطاغية جالوت؛ {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ}، انظر الذين يقولون الطاقة والقدرة، يقولون لا بد أن يكون هناك مقاربة في العدد والعدة، {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}، لكن لن تعدم الأمة الصادقة في كل زمان، وفي كل مكان، من بضعة نفر، يثبتون بتثبيت الله، يشجعون بكلام الله، يؤيدون بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام... {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً} بعضلاتهم؟ بقوتهم؟ بقبيلتهم؟ بحسبهم؟ بنسبهم؟ بجنسيتهم؟ بادعائهم التوحيد؟ بادعائهم تحكيم الشرع كذباً وبهتاناً؟ لا... {بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

انظر الجولة الأخيرة؛ لما أقدموا {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} واصطف الجيشان طبعاً، ورأوا أن حيلتهم انقطعت، وأن عالم الأسباب قد تلاشى أمامهم، لأنه لا

مقاربة البتة بين الجيشين، ولا يمكن أن يكون فيه أي مقارنة في العدد والعدة، فلما انقطعت الحيل، أين الملجأ؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، انظر ماذا قالوا{قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}، إنه السلاح المطلق الذي لا يخذل من تسَلح به على الإطلاق... فما هي النتيجة؟ بعد الدعاء مباشرة، بعد أن يئسوا من نصر الخلق لهم، ولم يبقَ في الساحة - في الميدان - إلا هذا العدد اليسير، فما إن رفعوا أكف الضراعة بصدق إلى الذي بيده نواصي الجبابرة، إلى من بيده رقاب طواغيت الإنس والجن، {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ} انظر كيف الفتوح بعد الجهاد، لا ملك ولا علم حقيقي ولا حكمة ربانية ولا دفع للباطل وأهله إلا بالجهاد والقتال.

{وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ}، متى آتاه الله العلم والحكمة قبل الجهاد أم بعد الجهاد؟ ما كان داود عليه السلام قبل الجهاد لا نبياً ولا عالماً ولا ملكاً، فلما أكرمه الله بأن تلطخت كفه بدم الطاغوت جالوت، انظر كرم الكريم جل وعلا {وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ}، لم ينتظر داود إقامة حوار مع جالوت - على جنب - لمدة عشر سنوات أو خمس سنوات أو زد أو انقص، كما يقول بعضهم لئن يهتدي - انظر كيف التلبيس المقيت - يقول: لئن يهدي الله عل يديك قس خير من أن تقتله! هذا تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا تنقص لرسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه، انظر كيف يقلبون الباطل في قوالب يزعمون أنها حق، لكن...

{وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} ليس بالحوار... الدفع المعني في هذه الآية، أما الحوار فإنه لا يدفع حتى أحقر مخلوق، لا شك أن الحوار له وزنه في الشرع لكن له مرحلته، وله وقته، وله ظروفه، وله وزنه الشرعي الواضح الذي ليس هذا مجال استعراضه في الآيات، أما إذا دهم العدو، أما إذا تسلط الظالمون، أما إذا استبيحت مقدسات المسلمين، أما إذا نطق الملحدون بالشرك والكفر في بلاد الحرمين، أما إذا سُجِّن وأوذي أولياء الله علماء التوحيد علماء الملة ولم يحاوروا بهذا الحوار المزعوم، فلا حل إلاَّ السيف، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}، وفي سورة الحج: {هُدِّمَتْ صَوَامِعُ} القضية قضية عمل وهدم وبناء ونسف منشآت، إن لم ننسف منشآتهم في حدود الشرع سوف ينسفون المساجد بنص القرآن {لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

كم من منارة؟.. كم من مسجد؟.. كم من بقعة طاهرة دمرتها روسيا وأمريكا واليهود والمنافقون وأذنابهم في كل مكان؟ كم؟.. وكم؟.. وكم؟..

ثم لما دمر أولياء الله - نحسبهم كذلك - برجين فقط من أبراج الكفر والطغيان، ومحاربة دين الملك الديان، نطق الببغاوات... أبواق طواغيت الفساد... مظلات الطواغيت، الذين يغطون عليهم باسم الشرع، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المجرمون، ولو كان تمام النور بأرض مفروشة بالعطور والورود والزهور لما فضح كثير من الأدعياء، ولما تلكأ كثير من المنتمين، ولدخل الحابل مع النابل والصادق مع الكاذب، ولكن يأبى الله إلا أن ينصب في الطريق معالم تنحسر دونها أقدام الذين لا يوقنون، أما الصابرون المؤمنون فإن هؤلاء لا يمكن أن يتزلزلون بفضل الله عليهم، أما سمعت قول الله جل وعلا {فَاصْبِرْ} لو أن الطريق ما كان فيه تلك المشقة لما قال الله {فَاصْبِرْ}... {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} حق... وإن عقلك لم يستوعب كل الاستيعاب؛ لأن موسى عليه السلام لما بلغ البحر وخلفه الطاغوت فرعون وأولياؤه وجنوده، قال له أصحابه: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}؛ فرعون خلفنا والبحر أمامنا، مثل ما يقولون الآن إنا لمدركون؛ أمريكا بأقمارها وبأسلحتها وبقواتها وبقنابلها وبصواريخها العابرة للقارات أنى لنا أن نواجهها؟! {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}... كما يقول كثير من الذين لم يعرفوا الله حق المعرفة.

لكن حينها... موسى عليه السلام هل اهتدى ماذا سيصنع الله له؟ لا.. لكنه اهتدى أن النصر آت لكن لا يعلم كيف، قال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} ما قال؛ معي جيش... معي قوة... ولكن قال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} يعني؛ سيهديني ماذا أصنع، ماذا أفعل أمام العدو؟ إننا في مأزق لا يوصف، لكن لي رب سيهديني، يقين... انظر الموقنين كيف أنهم ينصرون، ما إن أكمل

موسى - عليه السلام - مقولته إلا والوحي يأتيه مباشرة، ليري الله الخليقة في وقته وبعده عبرة، أمره الله فقط بعصاه فقط أن يضرب بها البحر! لم ينصر بسيفٍ ولا بقوة ولا بقنبلةٍ ولا بأسلحة دمار شامل أو غير شامل، حتى العصا لو لم تجدها بعدما تفعل كل ما تستطيع من الأسباب الحاضرة لا الأسباب الموهومة التي ليس في وسعك نيلها، إنما الذي يحضرك من الأسباب افعله... ابذله... لا تقصر فيخذلك الله... حتى لو كانت عصا، كما فعل موسى - عليه السلام - فأمره الله أن يضرب البحر... إلى آخر القصة... فجعل الله نصرهم بسبب عصا! لا إله إلا الله الذي يصنع من الجمادات انتصاراً عظيماً، يخلد في التاريخ، ويكون عبرة للمعتبرين.

يوم بدر... يحثوا حبيبنا وقرة أعيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي حثوةَ تراب على وجوه القوم من المشركين فيولون الدبر! أمر لا تستوعبه عقول البشر المجردة عن الوحي، قال الله جل وعلا: {وَمَا رَمَيتَ إِذْ رَمَيْتَ}، هناك قوة غيبية غلبة قاهرة قادرة... {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى}، أنت افعل ولو حثوة تراب، وليس هذا الفعل من موسى عليه السلام ولا من محمد عليه الصلاة والسلام ليس عبثاً، ولكنه قمة الهداية ليبصر الله من شاء من خلقه ويهديه إلى هذه المعاني الدقيقة الواضحة البينة.

فنعود إلى قوله: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌ} وإن لم تهتدِ كيف تصنع... {إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌ}... انتبه... {وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الذِينَ لا يُوقِنُونَ}، لا يستخفنك، تسمع كلامه ثم تصدق! أو يقع في نفسك شيء من الشبهات، وشيء من الاهتزاز... فتتراجع! أو تُحبط! أو تنهزم! أو تتردد لو قليلاً فتكون ممن قال الله فيهم: {فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَدُون}.

وانظر يا أخي موقفاً أخراً...

لما غزا موسى نبي الله عليه الصلاة والسلام وجندُه فلسطينَ فأبى كثيرٌ من المهزومين الذين يوجدون في كل تاريخ وفي كل زمان للأسف قالوا: {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلانِ...} جيش مليء بالشجعان والكبراء والوجهاء لكن ما نطق إلا رجلان! {مِنَ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ}، مجرد يا أخي لو دخول باب فقط، أنت انطلق... امض... اخط خطوات، {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ

غَالِبُونَ}، ما قال؛ فإذا أطلقتم... فإذا رميتم الرمح، مع أن هذه مرحلة أكيد لا بد منها، لكن النصر يأتي مع أول خطوة... {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ}... لكن بشرط التوكل {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

الكلام قد يطول في هذا المجال، لكن لعلنا نواصل إن الله عز وجل مد في العمر، لعله يكون لنا إن شاء الله لقاء... ولقاء... ولقاءات... إن شاء الله عز وجل نحرر فيها بعض المسائل الأخرى، عسى الله أن ينفعنا بما سمعنا، ويعلمنا ما ينفعنا، وأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم ممن يقول ويفعل، وأن لا يجعلنا ممن إذا قال لم يفعل، الذين يمقتهم الله أشد المقت. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

ما هو الصدق الذي يوجب حب الله؟ والكذب الذي يوجب مقت الله؟ ماذا قال؟ {إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}، فالصدق الذي يسبب رضا الله؛ القتال صف، والعكس بالعكس.

فأسأل الله أن يجعلنا وإياكم أن يجعلنا وإياكم من أهل هذا الطريق، أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أصحاب الصبر واليقين، أسأل الله العظيم الذي لا إله غيره الحي القيوم بأسمائه وصفاته وقدرته على كل شيء أن لا يقبضنا حتى يشفيَ صدورنا من أعداء الله، من جنود بوش ومن اليهود ومن النصارى ومن المنافقين ومن العملاء ومن الطواغيت ومن جنودهم، ومن جميع الظالمين الذين يعذبون ويؤذون المؤمنين، اللهم لا تمتنا حتى تشفي صدورنا فيهم، اللهم أرهم ضعفنا قوةً عليهم، وأرنا قوتهم ضعفاً عليهم يا قوي يا عزيز، اللهم إننا واثقون بك كل الثقة أن كيدهم ضعيف، وأن كيدك عظيم، وأنهم يكيدون كيداً وتكيد كيداً، فما أعظم كيدك يا رب العالمين فأنت خير الماكرين...

اللهم حقق آمالنا فيما يرضيك ويسرنا، اللهم أنقذ إخواننا من سجون الطواغيت، اللهم أنقذ مشائخنا من سجون الطواغيت، اللهم اشفِ صدورنا في الطواغيت، اللهم إنَّا نعلم أنهم لا يقدمون ولا يؤخرون، اللهم يا ذا الجلال والإكرام كن لشيخنا المظلوم الشيخ وليد السناني، اللهم كن له وليا ونصيراً، اللهم انصره على من ظلمه،

اللهم اثـأر لـه علـى مـن بغـى عليـه، اللهـم احفـظ أخواتنـا المسجونات في الرويـس والحـائر، اللهـم احفظهـنَّ يـارب العالمين، اللهم احفـظ أعراضـهن، اللهـم احفـظ صـحتهن، اللهـم احفـظ دينهـن، اللهـم عجـل فرجهـن يـا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر كل من نصر الدين، اللهـم انصـر كـل مـن نصر الدين، اللهم اخذل كل من خذل الدين.

وإلى لقاء أيها الأحباب... نراكم إن شاء الله على خير في لقاءات قادمة، ومعذرةً على الإطالة، ثبت الله الجميـع، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك[2].

منبر التوحيد والجهاد

* * *

ten.esedqamla.www//:ptth
sw.dehwat.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

[2]) أسئلة آخر المحاضرة غير متوفرة مع هذا النص.

موقعنا على الشبكة

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
ten.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www